نـافـذة

السيد وزير الثقافة مقالات آنية في كتب

السيد وزير الثقافة قبل أن يكون وزيراً هو شاعر ومحلل في الوقت ذاته، وهذا ما يمنح زاويتي هذه بعض الشرعية، لأنها تخاطب وزيراً وعارفاً وأديباً ومحللاً، فقد صدر عن وزارة الثقافة في الآونة الأخيرة كتب كثيرة، وأصمم على كلمة كثيرة قياساً إلى عدد المطبوعات، وهذه الكتب هي مقالات سياسية مجموعة وافتتاحيات لأصحاب الشأن ورؤساء التحرير، أقول بداية إنني لست ضد جمع المقالات في كتب، وأغلب كتبي هي مقالات مجموعة، والكتب المشهورة من كتاب (حديث الأربعاء) لطه حسين عميد الأدب العربي إلى كتب الزيات والرافعي والعقاد وغيرهم من أساطين الكتابة العربية، كلها عبارة عن مقالات مجموعة، لكن شيئاً ما ينتظمها هو النقد أو الإبداع أو الوجدان، بل إن دواوين الشعر هي قصائد منشورة يتم جمعها في مجموعات شعرية، وأذهب أبعد من ذلك فالكتابان اللذان غيرا وجه العالم الحديث «صراع الحضارات» و«نهاية التاريخ» لهانتنغتون وفوكوياما، هما في الأصل مقالتان منشورتان في مجلات متخصصة، وأؤكد متخصصة، وعندما استيقن المؤلفان من تأثير ما طرحاه قاما بتوسعته والتعمق به، وصدرت المقالتان في كتابين، وهذان الكتابان يتم العمل عليهما دوماً بالإضافة والحذف، حتى أصبحت المقالة نظرية في السياسة تحكم العالم أجمع كما نرى اليوم بعد انتهاء الحرب الباردة.
أما المقالة التي تمثل رأياً أو افتتاحية موجهة نشرت في ظرف آني هل تستحق أن تجمع في كتاب؟ وهل يكفي أن يذكر اسم الصحيفة والتاريخ لتشكل توثيقاً؟ وهل تصح المقالة الصحفية التي سمتها الخفة والمباشرة لعلاج أمر ما أن تكون في كتاب للتاريخ؟ وهل تيقن الكاتب أو الوزارة بأن هذا الرأي ثابت لن يتغير ليكون في كتاب؟
نشر الافتتاحيات والآراء السياسية الآنية بدعة سورية بامتياز، وإن لم تكن الوزارة سباقة إليها فقد سبق إلى ذلك اتحاد الكتاب العرب بجمع افتتاحيات رئيس الاتحاد في كتب تحمل عناوين طنانة، وهذا الأمر منذ زمن رئيس الاتحاد السابق، والرئيس الحالي عززه وكرسه! وحين عمدت الوزارة إلى نشر افتتاحيات أحد الكتاب، تقدم الجميع سراعاً، من باب ما حدا أحسن من حدا، ونشرت الوزارة مشكورة كل هذه الكتب التي عرضت عليها، وصرنا نحار، فهذه المقالات السياسية المباشرة وغير المعمقة قرئت من قبل، إن قرئت، فلماذا توضع في كتاب، وليس فيها أي لمسة أدبية أو إبداعية؟!
ترى هل جمع محمد حسنين هيكل افتتاحياته في الأهرام؟ وهل فعل ذلك أحمد بهاء الدين وأحمد زكي في افتتاحيات العربي التي كانت تمثل قطعة أدبية نادرة على نفقة الدولة المصرية؟!
قرأت هذه الافتتاحيات والمقالات عند نشرها، وهأنذا أجدها مطبوعة في الكتب وما من شيء فيها تغير، فلم أر فعل هانتنغتون وفوكوياما في تعميق المقال والأفكار والرؤى لتتحول المقالات إلى نظرية! وإنما رأيت تبارياً لطبع الكتاب، وقد طبع لفلان فيجب أن يطبع لفلان!! طبعت الدكتورة نجاح العطار كتاب «حديث الشعر» الذي هو عبارة عن مقالات أدبية وتكريمية بعضها من العمق بمكان، وحتى مقالات التكريم والمناسبات أعمق من دراسات لآخرين، فتقاطر القراء والنقاد للقراءة والكتابة، فكم من قارئ تجاوز حدود المجاملة بحمل هذه الكتب وقراءتها؟! أزعم أن أصحابها لم يعودوا إليها حتى في مرحلة الطباعة!
ترى لو حمل أحدهم هذه المقالات إلى ناشر فهل ستطبع؟ حتى على نفقته الخاصة لن تجد من يضع عليها اسم داره، وأنت سيادة الوزير تعرف وعانيت من الناشر ورأيه! فلماذا يتم التعامل مع الوزارة بهذا الشكل الرديء الذي يستخف بكل شيء؟
أظن أنه لو عاد أحدهم إلى هذه المقالات الموجهة أو التي من بنات أفكاره وعمقها لكان أجدى، وثمة فرق بين أن تطبع المقالات النقدية والوجدانية في كتب، وأن يحدث ذلك مع الآراء السياسية، التي إن قرئت مستقبلاً فستعطي مؤشراً سلبياً عن الكاتب والكتاب في المرحلة ودور الوزارة.
عندنا فقط يبدع المسؤولون وأصحاب المواقع الرفيعة وتجود قرائحهم التي كانت جافة من قبل، ويغمرون المؤسسات الحكومية بأفضالهم لطباعتها!!
عندنا فقط يطبع وزير كل أعماله، والكادر الإداري كله من المبدعين، عندنا فقط جمع أحد الوزراء افتتاحياته لتكون عنوان كتاب قبل أن يصبح معارضة!!
السيد الوزير نتوجه بالشكر للتوثيق الذي تقوم به الوزارة.

إسماعيل مروة

موضة فنية مقتبسة من نسخ عالمية

«برامج اكتشاف المواهب» هل تحقق حلم الشباب أم تتاجر في أحلامهم؟

وائل العدس

تنشغل لجنة تحكيم برنامج «ذا فويس» بتصوير حلقات المراحل الأولى التي ستعرض خلال الأيام القليلة القادمة مسجلة، على أن تقام العروض المباشرة بعد ذلك بمشاركة مواهب من كل الدول العربية، علماً أن اللجنة تضم كلاً من كاظم الساهر، وعاصي الحلاني، وشيرين عبد الوهاب، وصابر الرباعي.
فرغم الأزمات السياسية والحروب الدموية الاستعمارية التي اجتاحت عدداً من البلدان العربية، إلا أن برامج اكتشاف المواهب الغنائية لم تتوقف يوماً عن البحث والتقصي.
ورغم سخونة الأحداث إلا أن تلك البرامج الفنية نجحت بتحقيق شعبية كبيرة، وعائداً مادياً عالياً، يظهر جلياً في حجم تدفق الإعلانات التي تُبث خلال العرض.
فلا يكاد ينتهي برنامج حتى يبدأ آخر، ولا يسدل الستار عن موسم حتى ينطلق موسم جديد، برامج متنوعة تهدف «شكلاً» إلى البحث عن صوت فريد، برامج نشاهدها على مدار السنة وعلى قنوات مختلفة وفي جميع بلدان العالم، أما الشباب المشاركون فيحلمون بتحقيق الشهرة والانتشار.

> مجال واسع لكسب الأموال من خلال الرسائل النصية

تساؤلات

أسماء عربية كثيرة مرت ونسيناها في حين أخرى قليلة حفرت طريقها في عالم الفن في وقت سار فيه البعض بخطوات متباطئة ومنهم من اختفى نهائياً عن الأضواء.
فهل فعلاً تحقق هذه البرامج حلم الشابات والشباب، أم هل تتم المتاجرة بأحلامهم؟ وهل الربح المالي هو الهدف الوحيد لمنتجي هذه البرامج؟ وما سر نسبة المشاهدة العالية جداً التي تحظى بها؟ هل هذه البرامج تدعم المواهب الشابة، وتتيح لهم فرصة للعبور نحو عالم الشهرة، أم إن الأمر لا يعدو سوى موضة وصيحة فنية جديدة مقتبسة من برامج عالمية؟.

تشابه

تتشابه تلك البرامج إلى حد كبير في آليات تنفيذها، حيث تعتمد على لجنة تحكيم من مشاهير نجوم الغناء في العالم العربي، وتتميز بارتفاع ميزانية إنتاجها التي تقدر بالملايين، إضافة إلى حجم الدعاية الضخم الذي ينتشر في الشوارع وعلى الشاشات.
وتبدو المنافسة شرسة بين العديد من الفضائيات لجذب المشاهدين للتصويت، في حين قيمة الجائزة التي يحصل عليها الفائز قليلة جداً.

بزنس

من الواضح أن هذه البرامج تستخدم المتسابقين كنوع من الدعاية، من خلال إبراز سلبيات فيهم على سبيل المثال، حيث يكونون مادة للسخرية من أجل تحقيق نسبة مشاهدة أعلى.
هذه البرامج مجال واسع لكسب أموال طائلة من خلال إرسال الرسائل النصية، فهو «بزنس» في المقام الأول، لهذا تضم لجان التحكيم كثيراً من نجوم الصف الأول، لأنهم يشكلون المصدر الأول لجذب الجمهور، وفي المقابل يتقاضى هؤلاء النجوم أجوراً مرتفعة تشكل لهم عائداً مربحاً في ظل ركود سوق الغناء نتيجة الظروف السياسية.

صبغة سياسية

تتقصد هذه البرامج إظهار جنسية كل مشترك، ما يكرس تحيزاً بين الشعوب العربية من خلال تشجيع الجمهور في بلد بعينه للتصويت لابن أو ابنة بلدهم، بغض النظر عن الكفاءة الصوتية.
واصطبغ هذا النوع من البرامج بصبغة سياسية في كثير من الأحيان حيث ينتمي المتسابقون لدول عربية مختلفة، فتلعب على أوتار مشاعر التعصب الوطني وتلهي الشباب عن القضايا الحقيقية لبلادهم.

شعبية كبيرة

تحظى هذه البرامج بشعبية كبيرة، فيما يعتبر هروباً من الجرعات السياسية التي تقدمها نشرات الأخبار والبرامج الحوارية مصاحبة بنبرة إحباط عالية؛ ما يدفع الجمهور إلى الالتفات نحو مواد الترفيه والتسلية.

> جودة الصوت ليست هي المعيار الأساسي لنجاح أي مشترك

إضافة إلى أن تلك البرامج ملأى بعوامل الإثارة والتشويق والمفاجآت التي تتراوح بين أنها طبيعية أو مفتعلة، لذلك نجد الجمهور يتابعها وهو يحبس أنفاسه، في انتظار النتيجة.. وهذه الإثارة مطلوبة ومخطط لها من قبل الشركات المنفذة لإكساب المسابقات مزيداً من الجاذبية ومن ثم ارتفاع نسبة المشاهدة.

علامات استفهام

ازدياد عدد هذه البرامج يثير العديد من علامات الاستفهام حولها وحول المواهب الجديدة التي تكتشفها، وخاصة أن وهج الأسابيع التي تعيش تحت ظلها تلك المواهب الغنائية سرعان ما يخف مع إسدال الستارة على الحلقة الأخيرة من تلك البرامج، ثم تخبو بأخبار متناثرة عن تلك الموهبة ومشاريعها الفنية الموعودة ثم تنطفئ تماماً باختفاء تام عن الساحة الفنية.
لا يجد أحد من هؤلاء من يمهد له طريق النجاح وتحقيق الذات فيقع في بطالة فنية أو قد يلجأ للغناء في الملاهي الليلية أمام عجزه عن الوصول إلى المهرجانات المهمة التي يسيطر عليها نجوم الصف الأول الذين سبقوه، وقلة فقط من هؤلاء نجحت في البقاء في دائرة الضوء بفضل كليبات سهرات والألبومات غنائية.

المعايير

يخطئ كثيرون عندما يعتقدون أن جودة الصوت هي المعيار الأساس لنجاح أي مشترك، لأن الأمر يخضع لاعتبارات كثيرة مثل المظهر، والكاريزما، والحضور على المسرح، والأهم تقبل الجمهور له الذي يتفاعل معه ويصوت له عبر ميزة الرسائل القصيرة، وخاصة أنه يظهر أسابيع عدة.

المشكلة

إن الأمر الأكثر أهمية والمثير للدهشة أن عدداً من المطربين الذين يقومون بالتحكيم لديهم عيوب ومشكلات صوتية واضحة، فكيف يمكن لمطرب «ينشز» أن يقوم بتقييم أصوات شابة ويحدد ما إذا كانت موهوبة أم لا؟.

أخيراً

لماذا لا تشكل نقابة الفنانين لجنة خبيرة تكتشف المواهب الفنية وتقدمها للجمهور بعيداً عن أضواء برامج اكتشاف المواهب وبريقها العابر لتضعهم على عتبة النجاح والمستقبل الباهر؟
وإلى متى ستظل الساحة الفنية تتخبط بالكثير من خريجي تلك البرامج دون محاولة حقيقية لجعل هؤلاء نجوماً؟.
بكل الأحوال، من الجميل أن نرى هذا الاهتمام بجيل من الشباب ومساعدتهم لتحقيق أحلامهم بما يمتلكونه من مواهب.. لكن ينبغي مساعدتهم لتحقيق أحلامهم الفكرية أولاً وتطوير مواهبهم العلمية وأفكارهم الاقتصادية لتكوين هناك مجتمع متوازن مجتمع مفكر وعالم ومتذوق للفن.

سوناتا الانتظار.. ألم وواقع

إسراء الشيخ علي

صدر عن الهيئة العامة السورية للكتاب مسرحيتان للكاتب إسماعيل خلف الأولى بعنوان سوناتا الانتظار والثانية عويل الزمن المهزوم.
لم يختلف أسلوب الكاتب في النصين بالرغم من اختلاف القصة في المسرحيتين.
لكن سوداوية الانتظار في المسرحية الأولى كانت أصعب بكثير من سوداوية الحياة تناول الكاتب الانتظار بطريقة سلبية، وكان من الأجدى في مثل هذه الظروف أن يقوم الكاتب ببث روح من التفاؤل والإيجابية.
كانت روح الكاتب في المسرحيتين متماثلة إلى درجة بعيدة في التشاؤمية من حيث الفكرة وغايتها.
إن النص في المسرحية الأولى يشبه لدرجة كبيرة النص في المسرحية الثانية في سوداويته ففي النص الأول أرهق الكاتب المشاهد والقارئ على السواء في الوقت الذي كان القارئ على دراية أو إحساس بما ستكون عليه النهاية، أو بما ستؤول إليه أحداث الصراع.
على عكس الصراع في المسرحية الثانية ورغم كل التشاؤم والألم الذي عشناه مع أبطالها إلا أن الشغف كان يقودنا إلى النهاية والتي كانت مختلفة نوعاً ما عن القارئ على العكس من المسرحية الأولى لكن وبالرغم من سوداوية التعبير إلا أنه كان ينقل صوراً واقعية من حياتنا المملوءة بالسواد وهذا يشكل مسوغاً لما جاء به الكاتب، إذ يزعم أن ما يقوم به هو تشخيص الواقع ومسرحته ولعله وبالرغم من وصفه الدقيق لهذه الوقائع إلا أنه لم يصل لأعلى درجات السواد من هذا الواقع بل الواقع كان أكثر قسوة وفجاجة، ولكن هل مهمة الإبداع نقل الواقع؟ ومثال على ذلك عندما كتب: «أمي ورغيف الخبز عقدا اتفاقية، الخبز يستمد رائحته من أمي فيما استمدت أمي من الرغيف الصبر».
إسماعيل خلف كاتب مسرحي متمكن من أدواته على الرغم من الملاحظات الفكرية أكثر من الملاحظات الفنية، وإن كان ثمة ما يؤخذ على هاتين المسرحيتين، فإن ما يؤخذ هو مبالغته في القسوة على المشاهد ويمكن التخفيف من مقدار الألم، ومع ذلك فالمسرحيتان ممتعتان إلى حد بعيد، بالقدر الذي تدخلان الألم فيه إلى القارئ والمشاهد معاً.
مسرحيتان مكتوبتان لمسرحي محترف، فهل يبقى النصان حبيسي الورق أم إنهما سينتقلان إلى الخشبة والتشخيص، ومعلوم شح النصوص المسرحية المحلية، ومهما كانت الكتابة المسرحية عالية، فإنها تفقد من سماتها إن لم تتحول إلى الخشبة، فالمصطلح مسرح، والمسرح تشخيص.

عبد القادر عياش مرآة وادي الفرات

مؤسس متحف التقاليد الشعبية ومجلة «صوت الفرات»

قيصر صعب

عبد القادر عياش هذا الرجل الذي كرس حياته من أجل الفرات، من أجل مدينته التي أحبها وسرى حبها في دمه حتى أضحت جزءاً لا يتجزأ من كيانه.
ويعد عبد القادر عياش الأول والفريد في إحياء تراث دير الزور من خلال إنشاء متحف التقاليد الشعبية في وادي الفرات إضافة إلى مطبعة ضخمة قام بتأسيسها من ماله الخاص لخدمة مدينته دير الزور. أصدر عبد القادر عياش عام ١٩٤٥ مجلته «صوت الفرات» وهي المجلة الوحيدة التي كانت تعنى بالثقافة والبحوث الخاصة بالفرات، أنفق عليها من ماله الخاص وكانت المرجع الوحيد لوادي الفرات إلى جانب صحيفة «الجول» التي كانت تطبع في مدينة حلب وتوزع في دير الزور لكنها توقفت عن الصدور بعد عامين من صدورها لأسباب متعددة منها بعد المسافة بين حلب ودير الزور إضافة لأسباب مالية.

نشأته وحياته

ولد عبد القادر عياش في دير الزور عام ١٩١١ من أسرة تعمل في التجارة والزراعة تعلم لدى الكتاتيب وتابع تحصيله العلمي في بيروت ودرس في المدرسة الإنجيلية في حمص وحصل منها على الشهادة المتوسطة وحطت به الرحال في دمشق متماً دراسته الثانوية في «اللاييك» عام ١٩٣٢ لكن السلطة الفرنسية نفت أسرته جميعها إلى مدينة جبلة بتهمة التحضير لثورة الفرات ضد الاستعمار الفرنسي ومساعدة الثورة السورية في الغوطة بدمشق وجبل العرب، وحكم على أخويه «محمد ومحمود» بالإعدام وتم تنفيذ حكم الإعدام في مدينة حلب.
وعلى الرغم من كل هذه المآسي تابع العياش دراسته الجامعية في معهد الحقوق بدمشق وحصل على الشهادة عام ١٩٣٥ ومارس بعد ذلك مهنة المحاماة.
وعمل عبد القادر عياش قاضياً في حلب عام ١٩٣٧ ثم قاضياً في معرة النعمان ودير الزور ودمشق، وفي عام ١٩٤١ عمل مديراً لمنطقة الباب والسلمية وبعد استقالته من القضاء عام ١٩٤٣، عاد لعمله في المحاماة مؤسساً في مدينته دير الزور البيت الثقافي الذي ضم نوادر الكتب وتفرغ للكتابة في مجلته صوت الفرات التي استمرت في الصدور طوال عقدين عرف من خلالها بحضارة وادي الفرات وتاريخ مدنه ووصف اقتصاده، وتدوين تراثه الشعبي وإبرازه.
تعرضت المجلة عام ١٩٤٨ للإغلاق من قبل السلطات، ثم عادت للصدور مستمرة في نهجها الثقافي والاجتماعي وعرض واقع المحافظة من جميع جوانبه، واستطاعت أن تكون المجلة الوحيدة التي تختص بوادي الفرات.

مؤلفاته

لقد نذر عبد القادر عياش حياته لمدينته التي أحبها، ومن أحلامه هو التأريخ للفرات ومن أجل ذلك وكما أسلفنا تخلى عن وظيفته وترك مهنة المحاماة.

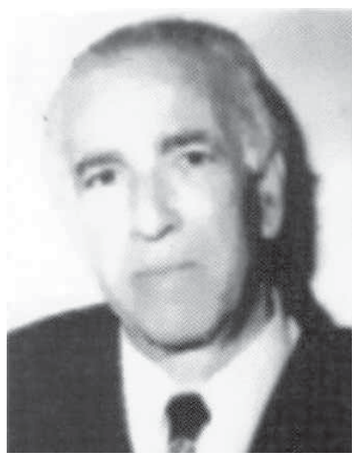

تجاوزت مؤلفات عبد القادر عياش مئة مؤلف إلى جانب «معجم الكتّاب السوريين في القرن العشرين».
ونذكر بعض مؤلفاته: «لمحات تاريخية عن دير الزور- المرداسيون في وادي الفرات- ماري عروس الفرات الأوسط- الرصافة حصن بادية الفرات- عبد الله بن طاهر والي الرقة- الفولكلور في وادي الفرات- محافظة الرقة قلب الجزيرة الفراتية إلى جانب أحد آثاره المخطوطة «رحلة الشوق». توقفت مسيرة عبد القادر عياش الأدبية في ٨ حزيران عام ١٩٧٤ بعد أن أحيا تراثاً مهملاً ومهدداً بالضياع والزوال، وأسس متحفاً في بيته يحوي تاريخ محافظته. وأضحى محط اهتمام الزائرين مثل محمد أبو الفرج العش والدكتور يوسف شقرا والدكتور صالح الأشتر والفنان محمود جلال وأحمد أبو زيد أستاذ الأنتربيولوجيا بجامعة الإسكندرية والأستاذ سعيد حورانية والدكتور عمر الدقاق والمؤرخ فيليب حتي «جامعة برنستون» وآخرين ممن شهدوا ووثقوا لأعمال عبد القادر عياش.
لقد كان عبد القادر عياش من الذين خلقوا نواة العمل الوطني الصادق ليعطي منطقته بعداً حضارياً في واد خصيب وكما وصفه الدكتور عمر الدقاق: «رأيت في بحوثه ومتحفه وثقافته نمطاً جديداً، لا يدانيه سوى القلة من العلماء والمستشرقين، وإن بيته عبارة عن متحف ومكتبة سعدت بزيارتها مستمتعاً بنتاج هذا العالم وأطايب بحوثه البكر».
وهنا نستذكر هذه الصفحات المشرقة من تاريخ وادي الفرات والتي إحدى شموعها الباحث عبد القادر عياش، ونستذكر قول الكاتب الكبير «غابرييل غارثيا ماركيز» (الحياة ليست ما يعيشه أحدنا، وإنما ما يتذكره، وكيف يتذكره ليرويه».
وما أحوجنا الآن إلى أمثال هؤلاء العظام من الأعلام في محافظة دير الزور لنتعلق بالأرض وحب الوطن.